

إعجاز

القرآن الكريم

دكتور
توفيق علي زبيري

القرآن حجة باقية

• عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة» (صحيح البخاري).

• ومعناه: أن معجزة كل نبي انقضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله.

المعجزة

أمر خارق للعادة مقرون بالتحديّ سالم من المعارضة يظهره
الله على يد رسله.

فالمعجزة أمر خارق للسنة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في
الكون ولا تخضع للأسباب والمسببات ولا يمكن لأحد أن يصل
إليها عن طريق الجهد الشخصي والكسب الذاتي وإنما هي هبة
من الله سبحانه وتعالى يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها على صدق
رسول الله الذي أكرمه بالرسالة.

شروط المعجزة

- الشرط الأول: أن تكون بما لا يقدر عليه إلا الله رب العالمين.
- الشرط الثاني: أن تخرق العادة، وتكون مخالفة للسنة الكونية.
- الشرط الثالث: أن تقع على وفق دعوى النبي المتحدي بتلك المعجزة.
- الشرط الرابع: أن يستشهد بها مدعي الرسالة على صدق دعواه.
- الشرط الخامس: ألا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة.

مراحل التحدي

وَجُوهٌ إِعْجَازُهُ فِيهِ كَثِيرَةٌ، إِلَّا أَنَّ الْوَجْهَ الرَّئِيسَ الَّذِي كَانَ بِهِ التَّحْدِي
وَالَّذِي يَشْمَلُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ هُوَ الْوَجْهُ الْبَلَاغِيُّ فِي نَظْمِ الْقُرْآنِ وَلُغَتِهِ، فَالْقَوْمُ
كَانُوا أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَصَاحَةِ وَفُرْسَانَهَا.

وَمِنْ هُنَا تَحَدَّاهُمْ اللَّهُ بِأَنْ يَأْتُوا أَوَّلًا بِمِثْلِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ
لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء/ ٨٨)

تابع مراحل التحدي

ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود/ ١٣)

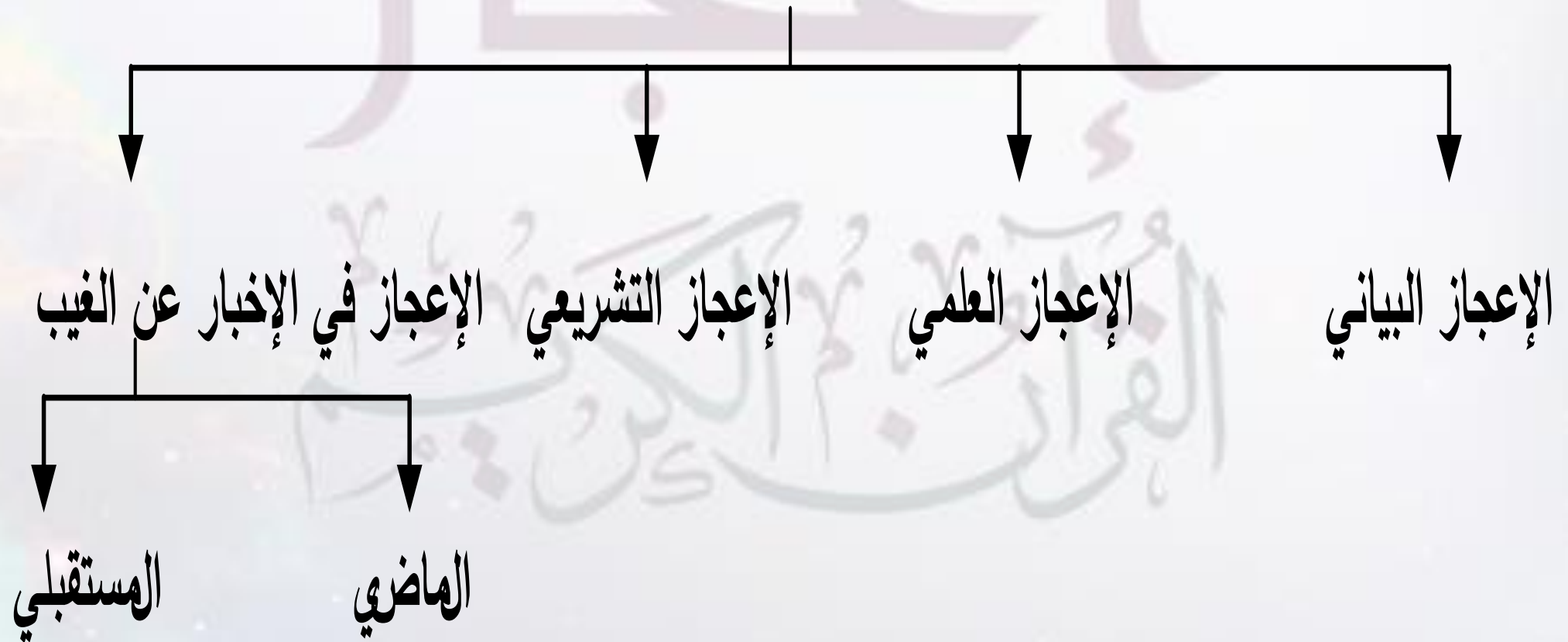
ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِمَرْحَلَةٍ ثَالِثَةٍ وَهِيَ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس/ ٣٨)

ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ أَخِيرًا بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/ ٢٣ - ٢٤).

وجوه الإعجاز في القرآن

- أولاً: الإعجاز البياني.
- ثانياً: الإعجاز العلمي (التجريبي).
- ثالثاً: الإعجاز التشريعي.
- رابعاً: الإعجاز الغيبي.

بعض وجوه إعجاز القرآن



صور من الإعجاز البياني

إعجاز النظم القرآني

- يقصد بنظم القرآن طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها، للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم.
- والفرق بين الأسلوب والنظم: أن دائرة الأسلوب أوسع وأشمل ولا يدرك الأسلوب بالجملة الواحدة، بينما النظم يمكن إدراكه في الجملة الواحدة بل وحتى في الكلمة الواحدة.

إعجاز النظم القرآني في اختيار الكلمة المناسبة

- النظم القرآني في اختيار الكلمة المناسبة ذات الجرس المعين لأداء وظيفتها في الإيقاع كما أنها تؤدي في نفس الوقت دورها في تصوير المعنى وتشخيصه وإيضاحه على أتم صورة.
- أ- اختيار كلمة (حرث) لتشبيه النساء به دون الأرض أو الحقل أو الزرع وغيرها من المترادفات وذلك في قوله تعالى: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِلْتُمْ [البقرة: ٢٢٣]. ولعل اختيار هذه اللفظة دون سواها لما فيها من لطف الكناية في ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرثه وصلة الزوج بزوجه في هذا المجال الخاص، وبين ذلك النبت الذي يخرج به الحرث وذلك النبت الذي تخرجه الزوج وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح.
- بينما هذه اللطائف لا تستفاد من كلمة (الأرض) إذ قد تكون جذباء لا تصلح لحراثة الزرع وكذلك الحقل فإنه لا يدل على عمل المالك فيه بل تدل الكلمة على شيء جاهز لا دخل فيه لبذر الحارث.

وحدة الموضوع

واختيار الكلمة التي تناسب السياق لسر لطيف

جاءت الملائكة بالبشرى لذكريا عليه السلام بيحيى، وأيضاً جاءت بالبشرى للسيدة مريم العذراء بالمسيح عليه السلام. لكن وضع المبشرين مختلف، وتلقى الخبر منهما يكون له رد فعل يغاير ما في نفس الآخر، واستغراب كل منهما يكون لجانب أشد التصاقاً بحاله ووضع. قال ذكريا عليه السلام عند ما جاءت بالبشرى: قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ [آل عمران: ٤٠]. وقالت مريم عليها السلام عند ما جاءتها البشرى: قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ [آل عمران: ٤٧].

ورد في كلام ذكريا عليه السلام لفظ الغلام وهو الموافق والمطابق لحاله لأنه رجل متزوج ومن شأن المتزوجين كما هي العادة أن يولد لهم، ولكن الغريب في الأمر والمعجزة أن يولد له في هذه السن المتأخرة من حياته وامراته عاقرة فكانت الكلمة التي تؤدي الغرض ووجه الاستغراب هي كلمة (غلام). أما مريم عليها السلام فالتعجب في جانب آخر إذ إنها عذراء ولم يمسسها بشر ولم تك بغياً، فالغرابية والمعجزة أن تلد وهي عذراء فكانت الكلمة المعبرة التي تؤدي المعنى بدقة وتوضح وجه الاستغراب لها هي كلمة (ولد)

من صور الإعجاز البياني
الأسلوب القرآني الفريد

الأسلوب القرآني:

هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه
واختيار ألفاظه.

مثال لتصوير النفور الشديد من دعوة الإيمان

- تصور معي وتأمل هذا المثال :
- فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَانَتْهُمْ حُمْرُ مُسْتَنْفِرَةٍ (٥٠) فَارْتَمَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) [المدثر: ٤٩ - ٥١]. فتشترك مع الذهن حاسة النظر وملكة الخيال و انفعال السخرية وشعور الجمال: السخرية من هؤلاء الذين يفرون كما تفر حمر الوحش من الأسد لا لشيء إلا لأنهم يدعون إلى الإيمان، والجمال الذي يرتسم في حركة الصورة حينما يتملأها الخيال في إطار من الطبيعة تشرد فيه الحمر يتبعها قسورة، فالتعبير هنا يحرك مشاعر القارئ وتنفعل نفسه مع الصورة التي نقلت إليه وفي ثناياها الاستهزاء بالمعرضين.

مثال للتناسق الوعائي في القرآن

- قال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ. وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. الطارق.}
- الذي خلق الإنسان من الماء الدافق في رحم المرأة ولا يعلم بشر أسرار تدبير هذا الماء داخل الرحم ولا كيفية تكوين الجنين بأجهزته الدقيقة العجيبة، والذي يخرج بعد ذلك للحياة صالحاً أو طالحاً، هو الذي أنزل الماء من السماء على الأرض؛ ليخرج النبات من الحب وتنوعه شكلاً وطعماً، والذي يكون منه الحسن والردى، هو الذي أنزل القرآن من السماء فتلقته عقول البشر، فمنهم الذي أنبت الفكر الصائب الثاقب، ومنهم الذي أنتج الفكر الساقط.
- وبهذا نجد وحدة المحل القابل (الرحم، الأرض، العقول) وكلها أرحام تنتج الصالح والطالح من (البشر، والنبات، والفكر)؛ فسبحان من هذا نظمه في كتابه المعجز.
- وكم أنه سبحانه الذي يعلم أسرار الأجنة في أرحام الأمهات، ويعلم أسرار النبات في أعماق الأرض؛ يعلم الأسرار والأفكار التي يفكر فيها الكفار بالخفاء مكرراً وتديراً؛ ليصدوا عن سبيل الله؛ فيبطلها فإذا هي في زهوق.
- وهو هو - سبحانه - الذي يدبر للمؤمنين النصر شافياً للصدور، كما يدبر للجنين طريق خروجه سليماً، وكما يدبر للنبات إنبثاقه ليخرج صحيحاً.
- قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

الإعجاز العلمي

ضوابط الإعجاز العلمي

١. أن يقتصر الإعجاز على الحقائق العلمية التي وصلت إلى حد القطع بها.
٢. ألا يكون التفسير العلمي أو الوجه من أوجه الإعجاز العلمي مجزومًا به عند تفسير الآية أو الحديث، بل ينبغي أن يساق على أنه قول في تفسير الآية أو شرح الحديث.
٣. ألا يقتضي التفسير العلمي للآية نقض ما جاء عن السلف فيها.
٤. ألا ينطلق التفسير العلمي التجريبي من منطلق الانهيار بالحضارة والمكتشفات المعاصرة، ومن ثم تسليم المطلق بها لما له من الأثر على التعسف في حمل النص على وجوه بعيدة.
٥. لا يعارض اللغة وقواعد النحو.
٦. ألا يكون مستلزمًا لمخالفة البلاغة القرآنية.
٧. ألا يترتب عليه تحويل الاستشعار التعبدي إلى تمسك بالمادي، أو بمعنى آخر تحويل العبادة إلى عادة أو استفادة مادية.
٨. عدم الخوض في الآخرة وما يتصل بها كالبرزخ والقيامة.
٩. أن يكون وجه الإعجاز واضحًا وليس مجرد إشارة بعيدة، حيث يلاحظ من بعض الكتاب في هذا المجال أنه يورد النص المشتمل على لفظة (كالشهب، مثلاً) ثم يسترسل في التفاصيل العلمية للشهب دون أن يكون هناك علاقة واضحة بين النص وبين هذه التفاصيل إلا مجرد ورودها في النص.

استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية وبين الحقائق العلمية

يستحيل التصادم بين الحقائق القرآنية وبين الحقائق العلمية لأنهما من مشكاة واحدة.

وينبغي أن يكون من المسلّمات في أذهاننا أن الحقائق القرآنية المتعلقة بأيّ جانب من جوانب الكون أو الإنسان والحيوان والنبات - إذا كانت قطعية الدلالة - لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصّل الجهد البشري إليها بناء على جهود المختصين خلال التاريخ الحضاري للبشرية.

وجوه الإعجاز العلمي

[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ] (فصلت / ١١).

حيثُ دلَّت على أَنَّ أصلَ مادَّةِ السَّمَاءِ هي دُخَانٌ.

[وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ] (يس / ٣٨ - ٤٠).

فَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ حَرَكَةِ الْمَجَرَّاتِ وَالنُّجُومِ وَالْقَمَرِ، وَمَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَكَيْفَ يَكُونُ فِي آخِرِهِ مَحَاقاً. [وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ] (الذاريات / ٤٧).

فَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ ظَاهِرَةِ تَمَدُّدِ الْكَوْنِ.

تابع

﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ (النازعات/ ٣٢)، ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَاداً﴾ (النبأ/ ٤٧)،
فَقَدْ بَيَّنَّتْ وَظِيفَةَ الْجِبَالِ لِلأَرْضِ، وَأَنَّهَا تُثَبِّتُ الْيَابِسَةَ مِنْ أَنْ تَنْزَلِقَ فِي
الْمُحِيطَاتِ، وَقَدْ أَثْبَتَ الْعِلْمُ أَنَّ مَا يَبْرُزُ مِنَ الْجَبَلِ إِنَّمَا هُوَ ثُلُثُهُ، أَمَّا ثُلَاثُهُ
فَفِي الْأَرْضِ كَالْوَتَدِ لِلْبَيْتِ يُثَبِّتُهُ.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ
مِنْ نُورٍ﴾ (النور/ ٤٠)

تابع

- فالتلقيح في النبات يكون التلقيح بالنقل، ومن وسائل ذلك الرياح، وجاء في هذا قول الله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ}.
- "والأوكسجين" ضروري لتنفس الإنسان، ويقل في طبقات الجو العليا، فكلما ارتفع الإنسان في أجواء السماء أحس بضيق الصدر وصعوبة التنفس، والله تعالى يقول: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}.
- وفي علم الأجنة جاء قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا}.
- وفي وحدة الكون وحاجة الحياة إلى عنصر الماء يقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}.
- تلك الإشارات العلمية ونظائرها في القرآن جاءت في سياق الهداية الإلهية، وللعقل البشري أن يبحث فيها ويتدبر.

الإعجاز التشريعي

أودع الله في الإنسان كثيراً من الغرائز التي تعمل في النفس وتؤثر عليها في اتجاهات الحياة، ولئن كان العقل الرشيد يعصم صاحبه من الزلل فإن النزعات النفسية المنحرفة تطغى على سلطان العقل، ولا يستطيع العقل أن يكبح جماحها في كل حال. لهذا كان لا بد لاستقامة الإنسان من تربية خاصة لغرائزه، تهذيبها وتنميتها، وتقودها إلى الخير والفلاح.

ترسيخ عقيدة الوحدانية

يحرر القرآن وجدان المسلم بعقيدة التوحيد الذي تُخَلِّصه من سلطان الخرافة والوهم، وتفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات، حتى يكون عبدًا خالصًا لله، يتجرد للإله الخالق المعبود، ويستعلي بنفسه عما سواه، فلا حاجة للمخلوق إلا لدى خالقه، الذي له الكمال المطلق، ومنه يمنح الخير للخلائق كلها.

إنه خالق واحد واليه واحد. لا أول له ولا آخر، قدير على كل شيء، عليم بكل شيء، محيط بكل شيء، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، قال تعالى {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وقال {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}.

تشریع العبادات

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}.
والزكاة تقتلع من النفس جذور الشح، وعبادة المال، والحرص على الدنيا، وهي مصلحة للجماعة،
وتشعر النفس بتكامل الجماعة شعوراً يخرجها من ضيق الأثرة والانفراد.
والحج سياحة تروّض النفس على المشقة، وتفتح بصيرتها على أسرار الله في خلقه، وهو مؤتمر عالمي
يجتمع فيه المسلمون على صعيد واحد، فيتعارفون ويتشاورون.
والصيام ضبط للنفس، وشحذ لعزيمتها، وتقوية للإرادة، وحبس للشهوات، وهو مظهر اجتماعي
يعيش فيه المسلمون شهراً كاملاً على نظام واحد في طعامهم. كما تعيش الأسرة في البيت الواحد.
والقيام بهذه العبادات المفروضة يربي المسلم على الشعور بالتبعية الفردية التي يقررها القرآن
وينوط بها كل تكليف من تكاليف الدين، وكل فضيلة من فضائل الأخلاق: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
رَهِينَةٌ}.

وحض القرآن على الفضائل المثلى التي تروّض النفس على الوازع الديني، كالصبر والصدق والعدل
والإحسان والحلم والعفو والتواضع.

تشريعات الأسرة

• ومن تربية الفرد ينتقل الإسلام إلى بناء الأسرة؛ لأنها نواة المجتمع، فشرع القرآن الزواج استجابة لغريزة الجنس وإبقاء على النوع الإنساني في تناسل طاهر نظيف: قال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}.

تشريعات الدولة

- يأتي نظام الحكم الذي يسود المجتمع المسلم، وقد قرّر القرآن قواعد الحكومة الإسلامية في أصلح أوضاعها.
- فهي **حكومة الشورى** والمساواة ومنع السيطرة الفردية: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}، {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}.
- وهي **حكومة تقوم على العدل** المطلق الذي لا يتأثر بحب الذات، أو عاطفة القرابة، أو العوامل الاجتماعية في الغنى والفقر: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}.
- كما لا تؤثر في هذا العدل شهوة الانتقام من الأعداء المبعوضين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ}.
- والتشريع في الحكومة الإسلامية ليس متروكاً للناس، فقد قرره القرآن، والخروج عنه كفر وظلم وفسق: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}، وقال {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، وقال {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

تابع

- وقرر القرآن صيانة الكليات الخمسة الضرورية للحياة الإنسانية: النفس، والدين، والعرض، والمال، والعقل، ورتب عليها العقوبات المنصوصة، التي تُعرف في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}، وقال تعالى {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}، وقال {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا}.
- وقرر القرآن العلاقات الدولية في الحرب والسلام بين المسلمين وجيرانهم أو معاهديهم، وهي أرفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية.

خلاصة القول

إن القرآن دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال، وسيظل إعجازه التشريعي قرينًا لإعجازه العلمي وإعجازه اللغوي إلى الأبد. ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالم أثرًا غير وجه التاريخ.

الإعجاز الغيبي

من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم التي ذكرها العلماء الإعجاز بما فيه من أنباء الغيب ويقصدون بذلك كل ما كان غائبا عن محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يشهد حوادث الواقعة ولم يحضر وقتها، فيدخل في الغيب بهذا المفهوم كل ما ورد في القرآن الكريم عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيمات الأمور ومهمات السير، وكذلك يشمل ما غاب عن محمد صلى الله عليه وسلم في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها بطريق الوحي، كإخبار الله سبحانه وتعالى له بما يكيد اليهود والمنافقون، ويشمل أيضا ما تضمنه من الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان.

وسوف نتناول صور في الإعجاز الغيبي في وجوه ثلاث:

- غيب الماضي.
- غيب الحاضر.
- غيب المستقبل.

غيب الماضي

لقد سمى الله سبحانه وتعالى الأخبار عن الأمم السابقة غيبا، وأشار إلى وجه دلالتها على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى كون القرآن الكريم إنما نزل بوحي من الله سبحانه وتعالى، فكثيرا ما يفتح القرآن القصة أو يختمها بالإشارة إلى أن هذه الأمور ما كان لرسول الله طريق إلى العلم بها إلا عن طريق الوحي من الله تعالى شأنه وجلت قدرته.

• فمثلا بعد ذكر قصة مريم وكفالة نبي الله زكريا لها يقول تعالى: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) [آل عمران: ٤٤]، فإن هذا النص يدل على أن القرآن من عند الله، وعلى أن ذلك النوع من العلم ما كان عند محمد صلى الله عليه وسلم، وليس له به دراية.

• ويقول عز من قائل بعد قصة نوح عليه السلام: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) [هود: ٤٩] وهذه أيضا إشارة واضحة إلى أن هذا العلم من عند الله، وأنه لم يكن معروفا عند العرب وما كانوا يتذاكرون به.

تابع

- ويقول جلت حكمته بعد قصة يوسف وذكر دقائقها وتفصيلاتها وعظاتها وعبرها: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) [يوسف: ١٠٢].
- وقبل عرض قصة موسى عليه السلام يقول عز من قائل: نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) [القصص: ٣]، وبعد انتهائها يقول جل ثناؤه: وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) [القصص: ٤٤ - ٤٦].
- إن ورود أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بهذا الشكل المفصل الدقيق في القرآن الكريم لدليل على أنه وحى من الله سبحانه وتعالى وليس من عند البشر.

غيب الحاضر

- ويقصد بغيب الحاضر ما جرى في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوادث لم يحضرها، ثم نزل القرآن متضمناً لها ومخبراً بحقيقة ما جرى.
- وفي تنبيه القرآن الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه المؤمنون على الحقيقة وتوجيههم إلى ما ينبغي اتخاذه حيال الوقائع ضمان لسلامة سير الدعوة وتجنب لها عن الوقوع فيما يخطط لها أعداؤها من الكفار والمنافقين.
- فالغاية الأساسية من غيب الحاضر هو تأييد الدعوة والأخذ بيدها والسير بها على بيئة من أمرها، وتربية الأمة وتهذيبها.

صور من إعجاز الغيب الحاضر ما جاء في شأن اليهود

• عن جابر بن عبد الله قال: (زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى الناس من اليهود بالمدينة أن اسألوا محمدا عن ذلك، فإن أمر بالجلد فخذوه عنه، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه ..) (ومسند الإمام أحمد ٦ / ٢٢٩).

• وهذا ما حدث عنهم رب العزة بقوله: وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ [المائدة: ٤١].

صور من إعجاز الغيب الحاضر ما جاء في شأن المنافقين

فمن الأساليب التي كان يلجأ إليها المنافقون حرب الأعصاب، ففي غزوة أحد قام رأس النفاق بشطط الجيش وسحب أنصاره منه وهم زهاء الثلاثمائة وهم يريدون بذلك إيقاع البلبلة والاضطراب في قلوب المسلمين، ولما هزم المسلمون في المعركة أبدوا شماتة الجبناء الأندال، والقرآن يصور خستهم القائمة على الخبث والجبن ويبرز الحقيقة الكامنة فيهم، وهي أن ألسنتهم وصدورهم إنما تعيشان باستمرار على طرفي نقيض: وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّكْوِي الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) [آل عمران: ١٦٦ - ١٦٧].

غيب المستقبل

ويقصد بغيب المستقبل ما ذكره القرآن
الكريم من حوادث ستقع ولم تكن قد وقعت
عند نزول الآيات التي تحدثت عن وقوع
الحادثة.

ما تحدث القرآن عنه ووقع في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما تحدث عن مصير بعض المكذبين وأنهم سيموتون على الكفر ويخلدون في النار، كما جاء في قوله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) [المسد: ١ - ٥].

ثانياً: ما تحدث عنه القرآن الكريم ووقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فمن ذلك قوله تعالى: قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ [الفتح: ١٦].

فقد استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب من حول المدينة في غزوة الحديبية، وتخلف كثير منهم خوفاً من بطش قريش وسطوتها، وقالوا ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية جاءوا يعتذرون إليه ويقولون: شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا [الفتح: ١١].

ففتح الله تعالى لهم باب التوبة بشرط الاستجابة لنداء الجهاد في قوله تعالى: قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ... ولم يدع هؤلاء الأعراب في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما استنفروا للجهاد بعد وفاته في عهد الخلفاء الراشدين.

ثالثا: ما تحدث عنه القرآن الكريم ولم يقع إلى الآن، وسيقع
حتما من غير ريب فمن ذلك ما ذكره القرآن عن أشراط
الساعة والأحداث التي تقع قبيل قيامها

منها قوله تعالى: * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ
تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) [النمل: ٨٢]. وجاء
ذكرها مجملا، فلا ندرك حقيقتها ولا مكان خروجها، ولا وقته المحدد، إلا أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل القول في بعض أوصافها ومكان
خروجها: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن
بالخاتم، وتخطم أنف الكافر بالعصا حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف
المؤمن من الكافر»

نبوءة قرآنية نعيشها الآن

جاء في قوله تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا (٤) [الإسراء: ٤]. ذهب كثير من المفسرين إلى أن العلو في الأرض والإفساد الأول قد تم فأرسل الله عليهم بختنصر ملك بابل فشردهم وقتل الكثير منهم وساق الكثير أسرى إلى بابل. أما العلو الآخر والإفساد الآخر فلم يأت بعد، حيث لم تقم لليهود بعد أسر بابل دولة ولا كيان.

وفي سورة الإسراء نفسها في أواخرها جاء قوله تعالى: وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) [الإسراء: ١٠٤ - ١٠٥].

أي قيل لهم انتشروا في الأرض فإذا جاء وعد المرة الآخرة في العلو والإفساد في الأرض جئنا بكم من أطراف الأرض جماعات جماعات.

ونحن نرجح أن مرحلة العلو في الأرض بدأت من مؤتمر اليهود في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م عند ما أعلن رئيسهم هرتزل عن وضع اللبنة الأولى لدولة إسرائيل، وقال إن الإعلان عن قيامها سيتم بعد خمسين عاما من ذاك التاريخ، وبالفعل أعلن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ م. وتسابقت الدول العظمى إلى الاعتراف بها. ومنذ مؤتمر سويسرا وإلى اليوم فإن السياسة العالمية مسخرة لتسهيل هجرة اليهود من أنحاء العالم إلى فلسطين، وكان قيام الحربين العالميتين والمستفيد الأكبر منهما هم اليهود، ففي الأولى أزيلت الدولة العثمانية الإسلامية من الوجود وكانت تقف سدا منيعا في وجه اليهود، وفي الثانية هيئت الأجواء الدولية للاعتراف بإسرائيل ودعمها ماديا ومعنويا، فالسنوات العشر بعد الحرب العالمية الثانية كان اقتصاد ألمانيا موجهًا لدعم دولة إسرائيل تحت شعار التعويض عن جرائم النازية.

إن تجميع اليهود في فلسطين من سنن الله القدريّة التي لن تتخلف؛ لتأتي المرحلة اللاحقة، ويتوجه جند الإسلام لاجتثاث جذور الشر.

أمل يحتاج إلى عمل

إننا نتلمس بذور جند الإسلام في شباب الصحوة الإسلامية العارمة التي تنتشر في العالم الإسلامي اليوم، وإلى أن يأتي الوعد الحق، فإننا منتظرون، ولا يخلف الله الميعاد.

وقد أذاق المجاهدون في فلسطين في معركة سيف القدس الذل والهوان والضعف لليهود، وأظهروهم بحقيقتهم الهشة، وكذلك من معهم من عملاء.

تَقْبِلُ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ

الْقُرْآنُ: مُمَّا الْكُتُبُ